

الخير كله في الرفق

إعداد: هيفاء بنت عبدالله الرشيد

الوصيَّة: @AlWasiyyah

https://t.me/AlWasiyyah




@AlWasiyyah



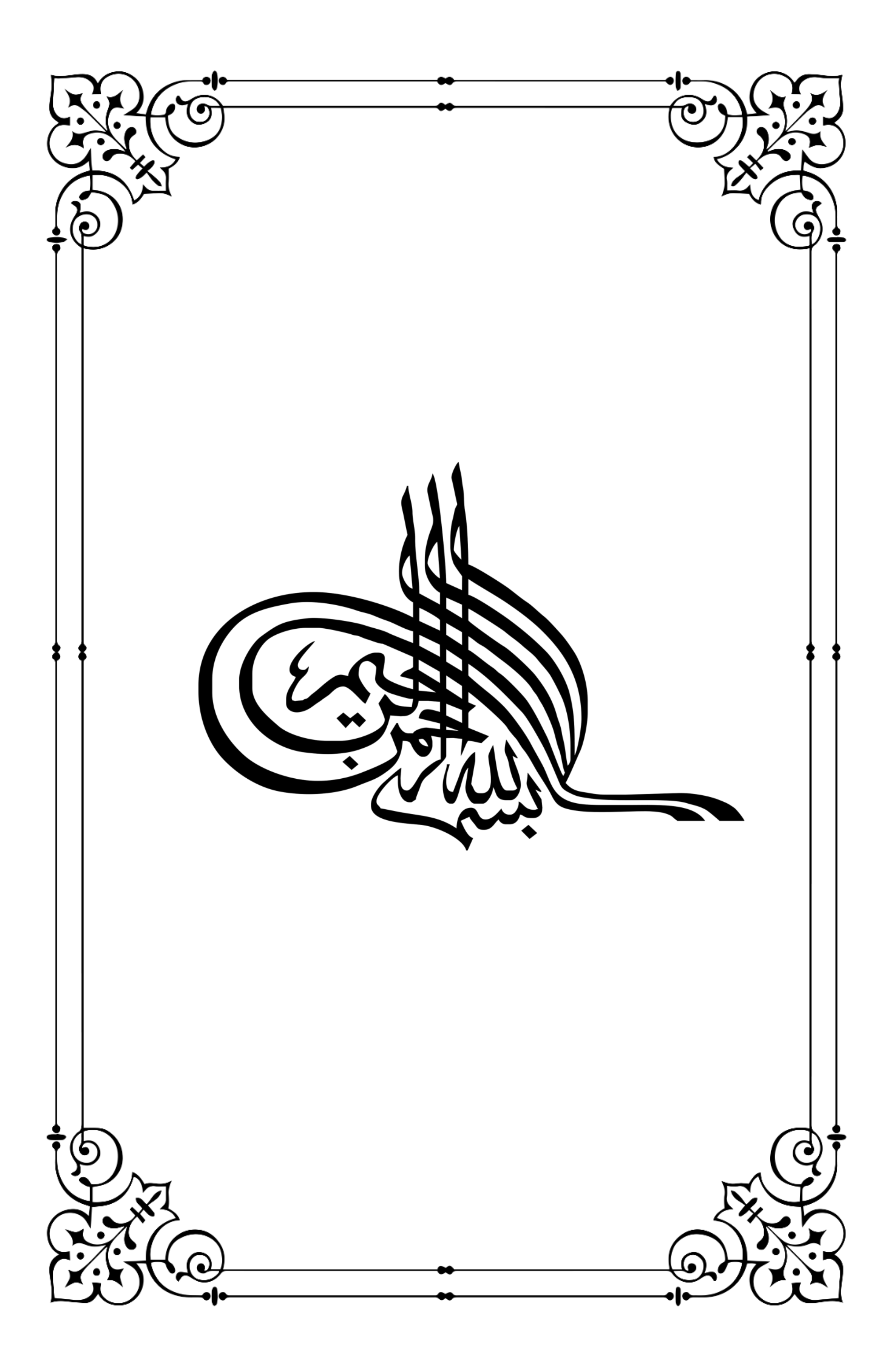

الخير كله في

الرفق

إعداد: هيفاء بنت عبدالله الرشيد

الوصيَّة: AlWasiyyah@

https://t.me/AlWasiyyah


بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[2]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[3]، أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد -ﷺ-، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

---

(١) [سورة آل عمران: (١٠٢)].

(٢) [سورة النساء: (١)].

(٣) [سورة الأحزاب: (٧٠-٧١)].

لا تكاد ساحة من ساحات الإسلام إلا وللرفق فيها النصيب الأكبر والحظ الأوفر، سواء على مستوى التشريع الفقهي أو في جانب العلاقات الاجتماعية أو في المعاملة حتى مع الخصوم والأعداء أو في غيرها من المواطن، هذا فضلا عن أنه تعالى عرف نفسه لعباده بأنه الرفيق الذي يحب الرفق،

فعن عائشة -رضي الله عنها- أَن النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفقَ، وَيُعْطِي على الرِّفق ما لا يُعطي عَلى العُنفِ، وَما لا يُعْطِي عَلى مَا سِوَاهُ**»[٤].

فالرفق خُلقٌ رباني يحبُّه الله ويرضاه لعباده، ويُعطي عليه ما لا يعطي على الشدة والعنف، وكان رسوله -صلى الله عليه وسلم- نبراسا في هذا الشأن ما لم تنتهك حرمة من حرمات الله.

إن الرفق ضد العنف وهو المداراة مع الآخرين ولين الجانب واللطف في أخذ الأمر بأحسن الوجوه وأيسرها، قال -سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ-: ﴿**فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩**﴾[٥]، فالناس في حاجة إلى كنف رحيم وإلى رعاية فائقة وإلى بشاشة سمحة وإلى ود يسعهم وحلم إذا جهلوا، الناس في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم، ويحمل همومهم ويجدون عنده دائما الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضاء وهكذا كان قلب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهكذا كانت حياته مع الناس.



---

(٤) [رواه مسلم: (٢٥٩٣)].

(٥) [سورة آل عمران: (١٥٩)].



الخير كله في الرفق

معنى الرفق لغة:

الرفق ضد العنف، وهو لين الجانب، ويقال: رفق بالأمر وله وعليه يرفق رفقا، ومرفقا: لان له جانبه وحسن صنيعه. ورفق يرفق ورفق لطف ورفق بالرجل وأرفقه بمعنى وكذلك ترفق به(٦).

معنى الرفق اصطلاحا:

الرفق لين الجانب بالقول، والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف، المداراة مع الرفقاء، ولين الجانب، واللطف في أخذ الأمر بأحسن الوجوه، وأيسرها(٧).

الرفق نعمة عظيمة من نعم الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-:

من أعطاه الله الرفق فقد فاز بخير عظيم في الدنيا والآخرة، ولذلك نصح الله -جَلَّ جَلَالُهُ- الرسول -ﷺ- أن يتحلى بالرفق، ذكر له أثر من آثار الرفق في هذه الآية قائلاً له: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾(٨).

---

(٦) [النهاية في غريب الحديث: (٢/ ٢٤٦)، لسان العرب: (١٠/ ١١٨)].

(٧) [فتح الباري لابن حجر: (١٠/ ٤٤٩)، مرقاة المفاتيح للقاري: (٨/ ٣١٧٠)].

(٨) [سورة آل عمران: (١٥٩)].

قال ابن كثير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: "لو كنت سيئ الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك، وألان جانبك لهم تأليفا لقلوبهم، كما قال عبد الله بن عمرو: إنه رأى صفة رسول الله -ﷺ- في الكتب المتقدمة: أنه ليس بفظ، ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح"(٩).

وصف الله -جل وعلا- رسوله -ﷺ- في القرآن بأنه رؤوف رحيم في قوله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾(١٠)، فهو بالمؤمنين رءوف رحيم عليه أفضل الصلوات والتسليم.

وقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾(١١)، فهو اللين والتواضع والرفق في صورة حسية مجسمة، صورة خفض الجناح كما يخفض الطائر جناحيه حين يهم بالهبوط وكذلك كان رسول الله -ﷺ- مع المؤمنين طوال حياته صلوات ربي وسلامه عليه.

وقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾(١٢)، وقال القرطبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: "الهون: مصدر الهين وهو من السكينة والوقار، أي: يمشون حلماء متواضعين، وقيل لا يتكبرون على الناس"(١٣).

(٩) [تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٢/ ١٤٨)].
(١٠) [سورة التوبة: (١٢٨)].
(١١) [سورة الشعراء: (٢١٥)].
(١٢) [سورة الفرقان: (٦٣)].
(١٣) [تفسير القرطبي: (١٣/ ٦٨)].

والنصـــوص النبوية عديدة ومتنوعة في تأكيد هذا الرفق والحث على التحلي به، فقال -ﷺ-: «**مَنْ يُحْرَمُ الرِّفْقَ يُحْرَمُ الْخَيْرَ كُلَّهُ**»(١٤)، وفيه فضـل الرفق وشـرفه، ومن ثم قيل الرفق في الأمور كالمسك في العطور.

ولَمَّا جاء رجلٌ واعظ إلى الخليفة المأمون، فوعَظه وعنَّف له في القول، قال له: يا رجل ارفق، فقد بعث الله مَن هو خير منك إلى مَن هو شـــر مني، وأمره بالرفق، فقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾(١٥).

والرفق مطلوبٌ في الأمور كلها، الدينية منها والدنيوية، كما أنه مطلوب مع كل الناس مهما كانت نِحَلهم وعقائدهم وتوجُّهاتهم، فهذه عائشـــة أم المؤمنين -رضي الله عنها- يدخل رهطٌ من اليهود على رســول الله -ﷺ-، فيَلحَنون في ســلامهم عليه، ويقولون: الســام عليك، ففهِمَتْها، فقالت: عليكم الســـام واللعنة، فقال رســـول الله -ﷺ-: «**مَهْلًا يَا عَائِشَـةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ**»، فقلت: يا رسـول الله، أَوَلَمْ تسـمع ما قالوا؟! قال رسول الله -ﷺ-: «**قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ**»(١٦).

عن عمر بن عبد العزيز -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- قال: "أحب الأمور إلى الله ثلاثة العفو في القدرة والقصـد في الجدة والرفق في العبادة وما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة"(١٧).

---

(١٤) [اخرجه أبو داود: (٤٨٠٩)].

(١٥) [سورة طه: (٦٣)].

(١٦) [أخرجه البخاري: (٦٠٢٤)].

(١٧) [روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: (١٦٧)].

وقال ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: "لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرِّفق، إلا عجز وانقطع فيغلب"(١٨).

وقال أبو حاتم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: "الواجب على العاقل لزوم الرِّفق في الأمور كلها، وترك العجلة والخفَّة فيها؛ إذ الله تعالى يحب الرِّفق في الأمور كلها، ومن منع الرِّفق منع الخير، كما أنَّ من أعطي الرِّفق أعطي الخير"(١٩).

الرفق في الدعوة:

الداعية عليه أن يرفق في دعوته، فيشفق على الناس ولا يشق عليهم، ولا ينفرهم من الدين بأسلوبه الغليظ والعنيف، وهذا أمر من الله للداعية إذا سلك هذا الطريق قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ **ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ** ﴾(٢٠).

وانظر إلى رفق إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- مع أبيه في دعوته، هو يعنف ابنه ويطلب منه أن يهجره ويقابل إبراهيم أباه بألطف الكلمات: ﴿ **قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾** ﴾(٢١).

قال الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: "بين الله جل وعلا في هاتين الآيتين الكريمتين أن إبراهيم لما نصح أباه النصيحة المذكورة مع ما فيها من

---

(١٨) [فتح الباري لابن حجر: (١/ ٩٤)].

(١٩) [روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: (ص: ٢١٥)].

(٢٠) [سورة النحل: (١٢٥)].

(٢١) [سورة مريم: (٤٦ - ٤٧)].

الرفق واللين، وإيضـاح الحق، والتحذير من عبادة ما لا يسـمع ولا يبصـر، ومن عذاب الله تعالى، وولاية الشـــيطان، خاطبه هذا الخطاب العنيف وسماه باسمه، ولم يقل له يا بني في مقابلة قوله له يا أبت، وأنكر عليه أنه راغب عن عبادة الأوثان، أي: معرض عنها لا يريدها؛ لأنه لا يعبد إلا الله وحده جل وعلا، وهدده بأنه إن لم ينته عما يقوله له ليرجمنه، قيل: بالحجارة، وقيل: باللسان شتما، والأول أظهر، ثم أمره بهجره مليا، أي: زمانا طويلا، ثم بين أن إبراهيم قابل أيضـا جوابه العنيف بغاية الرفق واللين، في قوله: ﴿ **قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ** ﴾"[٢٢].

وكان -ﷺ- أرفق الناس، كان رفيقا بقومه رغم أذيتهم له، فعن عروة أن عائشة -رضي الله عنها- زوج النبي -ﷺ- حدثته أنها قالت للنبي -ﷺ- هل أتى عليك يوم كان أشـد من يوم أحد فقال ﷺ: «**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَـــدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْـتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِـي، فَإِذَا أَنَا بِسَـــحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَـبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ-: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْـلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»[٢٣]. الأخشبين: الجبلين.

وكـان -ﷺ- رفيقـا في تعليمه للجاهـل، فعن أنس بن مـالك -رضي الله عنه- قـال: بينمـا نحن في المسجد مع رسول الله -ﷺ- إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد فقال أصحاب

---

(٢٢) [أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: (٣/ ٤٢٧)].

(٢٣) [رواه البخاري: (٣٢٣١)].

رسـول الله -ﷺ- «**مه مه**». قال: قال رسـول الله -ﷺ- «**لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ**». فتركوه حتى بال. ثم إن رسول الله -ﷺ- دعاه فقال له « **إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ**»(٢٤).

قد ثبت في البخاري وغيره أن هذا الرجل هو الذي قال: (اللهم ارحمني ومحمدا، ولا ترحم معنا أحدًا، قال النبي -ﷺ- للأعرابي: «**لَقَدْ حَجَّرْتَ وَاسِعًا**» يريد رحمة اللَّه) (٢٥).

وعن معاوية بن الحكم السـلمي -رضي الله عنه- قال: بينما أنا أصـلي مع رسـول الله -ﷺ- إذ عطس رجل من القوم فقلت يرحمك الله فرماني القوم بأبصـارهم فقلت واثكل أمياه ما شأنكم تنظرون إلي، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت فلما صلى رسول الله -ﷺ- فبأبي هو وأمي ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه فو الله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني قال: «**إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ**»(٢٦).

فمن هديه -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أنه كان يدعو بالحكمة والموعظة الحسـنة، ويتلطف مع العاصي بكلام لين وبرفق، ولا يعين الشيطان عليه، فعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: "إذا رأيتم أخاكم قارف ذنبا فلا تكونوا أعوانا للشـيطان عليه تقولوا: اللهم اخزه، اللهم العنه، ولكن سـلوا الله العافية، فإنا أصـحاب محمد -ﷺ- كنا لا نقول في أحد شيئا حتى نعلم على ما يموت، فإن ختم له بخير علمنا أنه قد أصاب خيرا، وإن ختم له بشر خفنا عليه عمله"(٢٧).

فرفقا بالمنصوحين، فإن في ذلك مدعاة لقبول نصحكم، ترفقوا بهم وارحموهم.

---

(٢٤) [أخرجه مسلم: (٢٨٥)].

(٢٥) [أخرجه البخاري: (٦٠١٠)].

(٢٦) [رواه مسلم: (٥٣٧)].

(٢٧) [أخرجه الطبري في معجمه: برقم (٨٥٧٤)، (٩/ ١١٠)].

الرفق بالنفس في أداء ما وجب عليها:

أخبر الله تعالى بإرادةِ التيسير على عباده والرِّفق بهم، ونفى إرادة التضييق عليهم في الدين والدنيا، فقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿**يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ**﴾(٢٨)، وقال عز مِن قائل: ﴿**يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ**﴾(٢٩)، وقال: ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾(٣٠)، فلا يُكلِّف الله نفسًا إلا بحدود طاقتها؛ قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿**لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾(٣١).

فالمسلم لا يحمل نفسه من العبادة مالا تطيقه، فالإسلام دين يسر وسهولة، قال -ﷺ-: «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ**»(٣٢).

قال ابن رجب -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: "النهي عن التشديد في الدين بأن يحمل الإنسان نفسه من العبادة مالا يحتمله إلا بكلفة شديدة، وهذا هو المراد بقوله -ﷺ-: «**وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ**» يعني: أن الدين لا يؤخذ بالمغالبة فمن شاد الدين غلبه وقطعه"(٣٣).

وعن عائشة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا-: أن الحولاء بنت تويت بن حبيب بن أسد ابن عبد العزى مرت بها، وعندها رسول الله -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا- قالت: فقلت: هذه الحولاء بنت تويت، وزعموا أنها

---

(٢٨) [سورة البقرة: (١٨٥)].

(٢٩) [سورة المائدة: (٦)].

(٣٠) [سورة الحج: (٧٨)].

(٣١) [سورة البقرة: (٢٨٦)].

(٣٢) [رواه البخاري (٣٩)].

(٣٣) [فتح الباري لابن رجب: (١/ ١٤٩)].

لا تنام بالليل، فقال رســـول الله -ﷺ-: «**خُذُوا مِنَ العَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا**»(٣٤).

والعبد إذا ترفه بالرخص الشــرعية، فإنما يتعبد لله تعالى باسمه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- (الرفيق) حيث يقول ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: "بل هاهنا نكتة؛ وهي أنه فرق بين أن يكون التفاته إليها ترفها وراحة، وأن يكون متابعة وموافقة، ومع هذا فالالتفات إليها ترفها وراحة لا ينافي الصـدق. فإن هذا هو المقصـود منها، وفيه شـهود نعمة الله على العبد، وتعبده باسمه البر، اللطيف، المحسن، الرفيق فإنه رفيق يحب الرفق"(٣٥).

الرفق مع الرعية:

فالراعي، سواء كان حاكما، أو رئيسا، أو مسؤولا، عليه أن يرفق برعيته، فيقضي حاجتهم، ويؤدي مصـالحهم برفق، قال -ﷺ-: «**اللهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَـيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ**»(٣٦).

وقال -ﷺ-: «**إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ**»(٣٧).

قال الشـيخ محمد بن صـالح بن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: "هذه الأحاديث في بيان ما يجب على الرعاة لرعيتهم من الحقوق، من ذلك قول النبي -ﷺ-: «**إِنَّ شَـرَّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ**» الرعاء: جمع راعٍ، الحطمة: الذي يحطم الناس ويشـق عليهم ويؤذيهم، فهذا شـر الرعاء.

---

(٣٤) [رواه البخاري: (٣٩)].

(٣٥) [مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: (٢/ ٢٧٠)].

(٣٦) [رواه مسلم: (١٨٢٨)].

(٣٧) [رواه مسلم: (١٨٣٠)].

وإذا كان هذا شر الرعاء؛ فإن خير الرعاء اللين السهل، الذي يصل إلى مقصوده بدون عنف، فيُستفاد من هذا الحديث فائدتان: الفائدة الأولى: أنه لا يجوز للإنسان الذي ولاّه الله تعالى على أمر من أمور المسلمين أن يكون عنيفاً عليهم؛ بل يكون رفيقاً بهم، الفائدة الثانية: وجوب الرفق بمن ولاه الله عليهم بحيث يرفق بهم في قضاء حوائجهم وغير ذلك، مع كونه يستعمل الحزم والقوة والنشاط، يعني لا يكون ليناً مع ضعف، ولكن ليناً بحزم وقوة ونشاط"(٣٨).

بلغ عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أنَّ جماعة من رعيته اشتكوا من عماله، فأمرهم أن يوافوه، فلما أتوه قام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "أيتها الرعية إن لنا عليكم حقا النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير، وإنه ليس من شيء أحب إلى الله وأعم نفعا من حلم إمام ورفقه، وليس شيء أبغض إلى الله من جهل إمام وخرقه"(٣٩).

كان عمر بن عبد العزيز -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- يقول: "إن من أحب الأمور إلى الله القصد في الجدة، والعفو عند المقدرة، والرفق في الولاية، وما رفق عبد بعبد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة"(٤٠).

الرفق مع الناس وعدم الغلظة والجفاء:

وقال -صلى الله عليه وسلم-: **«إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»**(٤١).

---

(٣٨) [شرح رياض الصالحين: (٣/ ٦٣٨)].

(٣٩) [الزهد لهناد بن السري: (٢/ ٦٠٢)].

(٤٠) [الزهد لهناد بن السري: (٢/ ٦٠٣)].

(٤١) [رواه مسلم: (٢٥٩٣)].

قال ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في كتاب الأدب من صحيح البخاري شارحاً هذا الحديث: "يعني أن الرفق يتأتى معه من الأمور ما لا يتأتى مع ضده، تأتيك بالرفق أشياء، وتنفتح لك مغاليق أمور لا تنفتح لك بغير الرفق مطلقاً"(٤٢).

فالله -جَلَّجَلَالُهُ- لطيف بعباده يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر، فيكلفهم فوق طاقتهم، بل يسامحهم ويلطف بهم ولين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل، أي يحب أن يرفق بعضكم ببعض، ويعطي في الدنيا من الثناء الجميل ونيل المطالب وتسهيل المقاصد وفي العقبى من الثواب الجزيل، وكل ما في الرفق من الخير ففي العنف من الشر مثله.

الرفق بالنساء:

عن أنس -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- قال: كان -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في مسيرٍ له فحَدَا الحادي، فقال النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**ارْفُقْ يَا أَنْجَشَةُ، وَيْحَكَ بِالقَوَارِيرِ**»(٤٣).

عن أمِّ سُلَيم -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا- أنها كانت مع نساء النبي صلى الله عليه وسلم وهُنَّ يسوقُ بهنَّ سوّاق، فقال النبي-صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**أَيْ أَنْجَشَةُ، رُوَيْدَكَ سَوْقَكَ بِالْقَوَارِيرِ**»(٤٤).

قال ابن بطّال -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: "إن القوارير هنا كناية عن النساء الذين على الإبل، أمره بالرِّفق في الحداء والإنشاد؛ لأن الحداء يحثُّ الإبل حتى تسرع السير، فإذا مشت الإبل رويداً أُمِن على النساء السُّقوط"(٤٥).

---

(٤٢) [فتح الباري لابن حجر: (١٠/ ٤٤٩)].
(٤٣) [رواه البخاري: (٦٢٠٩)].
(٤٤) [رواه أحمد: (٢٧١١٦)].
(٤٥) [شرح صحيح البخاري لابن بطال: (٩/ ٣٢٤)].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبيّ -صلى الله عليه وسلم- قال: «**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا**»(٤٦).

قال النووي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: "فيه الحث على الرفق بالنساء واحتمالهن" (٤٧).

وقال ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: "معناه: اقبلوا وصيتي فيهن واعملوا بها وارفقوا بهن وأحسنوا عشرتهن" (٤٨).

عن الأَسْود قال: سأَلْتُ عائشةَ: "ما كان النَّبيُّ -صلى الله عليه وسلم- يصنعُ في بيته؟ قالت: كان يكونُ في مِهْنة أهله - تعني خِدمةَ أهله - فإذا حضرت الصَّلاةُ خرجَ إلى الصَّلاة"(٤٩).

الرفق بالخادم والأجير:

إنهم إخواننا وأخواتنا، جعلهم الله تحت أيدينا، وسخَّرهم لنا، ويختبرنا الله بهم، وبين لنا الشرع الأواصر بين الخادم والمخدوم: ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ**﴾(٥٠)، فعلينا أن نحافظَ على حقوق الخادم.

ولنا في رسول الله أسوة وقدوة حسنة، كان يعامل خدمه بمنتهى الرفق واللطف، ويُحسن إليهم في أمورهم، فلا يلومهم ولا يوبخهم فيما صدر عنهم من الأخطاء، حتى كلمة أف لا يقولها لهم، عن أنس -رضي الله عنه- قال: "خدمتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عَشْرَ سنين، لا

---

(٤٦) [رواه البخاري: (٥١٨٦)].

(٤٧) [المنهاج شرح صحيح مسلم: (١٠/ ٥٨)].

(٤٨) [فتح الباري لابن حجر: (٦/ ٣٦٨)].

(٤٩) [رواه البخاري: (٦٧٦)].

(٥٠) [سورة الأنعام: (١٦٥)].

والله ما سبني سبَّة قط، ولا قال لي: أف قط، ولا قال لي لشيء فعلته: لمَ فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته؟"(٥١).

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول لله -صلى الله عليه وسلم-: «**لِلْمَمْلُوكِ طَعَامُهُ وَكِسْوَتُهُ، وَلَا يُكَلَّفُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا يُطِيقُ**»(٥٢).

وعن أبي الزبير: أنه سأل جابرًا عن خادم الرجل إذا كفاه المشقة والحر؟ قال: "أمرنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن ندعوَه، فإن كره أحدنا أن يطعَمَ معه، فليُطعمه في يده"(٥٣).

قال النووي -رحمه الله-: "الحث على مكارم الأخلاق والمواساة في الطعام لا سيما في حق من صنعه أو حمله لأنه ولي حره ودخانه وتعلقت به نفسه وشم رائحته، وهذا كله محمول على الاستحباب"(٥٤).

وكان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- "يذهب إلى العوالي كل يوم سبت فإذا وجد عبدا في عمل لا يطيقه وضع عنه"(٥٥).

عن ميمون بن مهران -رحمه الله- قال: "لا تعذب المملوك، ولا تضرب المملوك في كل ذنب، ولكن احفظ ذاك له، فإذا عصى الله عز وجل فعاقبه على معصية الله تعالى، وذكره الذنوب التي أذنب بينك وبينه"(٥٦).

---

(٥١) [رواه أحمد: (١٣٠٣٤)].

(٥٢) [رواه مسلم: (١٦٦٢)].

(٥٣) [مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: (٤/ ٢٣٨)].

(٥٤) [المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: (١١/ ١٣٥)].

(٥٥) [رواه مالك: برقم (٤١)].

(٥٦) [حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: (٤/ ٨٨)].

قال الشنقيطي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: "فأوجب على مالكيهم الرفق والإحسان إليهم، وأن يطعموهم مما يطعمون، ويكسوهم مما يلبسون، ولا يكلفوهم من العمل ما لا يطيقون، وإن كلفوهم أعانوهم؛ كما هو معروف في السنة الواردة عنه صلى الله عليه وسلم مع الإيصاء عليهم في القران"(٥٧).

الرفق بالحيوان:

فمن الرفق بالحيوان، أن تدفع عنه أنواع الأذى، كالعطش والجوع والمرض، والحمل الثقيل، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النَّبي -صلى الله عليه وسلم-: «**أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبِئْرٍ، قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ، فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا فَغُفِرَ لَهَا**»(٥٨).

وعن سهل ابن الحنظلية قال: مرَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ببعيرٍ قد لَحِقَ ظهرُه ببطنه، فقال: «**اتَّقُوا اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ الْمُعْجَمَةِ، فَارْكَبُوهَا صَالِحَةً، وَكُلُوهَا صَالِحَةً**»(٥٩).

رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- بعيرًا قد لصق ظهرُه ببطنه من شدة الجوع، فأمَر -صلى الله عليه وسلم- بالرِّفْق بالبهائم، وأنه يجب على الإنسان أن يعاملها معاملة حسنة فلا يُكَلِّفها ما لا تستطيع، ولا يُقَصِّر في حقِّها في أَكْل أو شُرْب، فإن ركبها بعد كانت صالحة للركوب، وإن أكلها كانت صالحة للطعام.

(المعجمة): هي التي لا تتكلم فتُعَبِّر عن ألمها وتعبها.

(فاركبوها صالحة): أي: فاركبوها إذا كانت قوية تستطيع الركوب.

(كلوها صالحة): لا تتركوها حتى يُهْلِكها الضعف من الجوع أو المرض.

---

(٥٧) [أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: (٣/ ٣٠)].

(٥٨) [رواه مسلم: (٢٢٤٥)].

(٥٩) [رواه أبو داود: (٢٥٤٨)].

وعن سعيد بن جبير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- قال: "مر ابن عمر بفتيان من قريش قد نصبوا طيرا وهم يرمونه، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا، فقال ابن عمر: من فعل هذا؟! لعن الله من فعل هذا، إن رسول الله -ﷺ- لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا"(٦٠).

وعن ابن عباس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قال: "نهى رسولُ الله -ﷺ- عن التحريش بين البهائم"(٦١).

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: "ووجه النهي أنه إيلام للحيوانات وإتعاب له بدون فائدة بل مجرد عبث"(٦٢).

---

(٦٠) [رواه مسلم: (٦٢٥٩)].

(٦١) [رواه أبو داود: (٢٥٦٢)].

(٦٢) [عون المعبود وحاشية ابن القيم: (٧/ ١٦٥)].



الخاتمة

وفي الختام؛ الرفق في الإسـلام أحد الصـفات الحميدة التي حث عليها في كثير من الآيات والأحاديث فدعانا ربنا بالتحلي بها وما دعانا إليها إلا لما في الرفق من الآثار الحسنة على حياة الإنسان ومن حوله ووعد الله الإنسان اللين أنه سيحرمه الله عن النار وهذا من أجمل الوعود الربانية التي تجعل المسلم يتحلى بها، فالرفق نعمة عظيمة من نعم الله -جَلَّ جَلَالُهُ-، من أعطاه الله إياها فقد فاز بخير عظيم في الدنيا والآخرة ومن حرم منها نسأل الله السلامة والعافية فعليه من الله الوعيد .

الناس بحاجة لمن يرفق بهم، وخاصة الرفق مع الإخوان، أخواتي في الله ماذا قال الله -عز وجل- لرسوله -ﷺ- ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥﴾(٦٣).

انقلب الأمر عند بعض المسلمين اليوم -للأسف- إلى أن يكونوا أذلة على الكافرين، أعزة على إخوانهم المؤمنين، فكثيراً ما يجد الأخ بينه وبين أخيه وحشة وتنافر، وشقاق وهجران، وغلظة وقسوة، وتدقيق على أتفه الأمور فيما بينهم، وأصبح البعض لا يلتمس العذر لأخوانه، أصبحت بعض القلوب متورمة تجاه الإخوان بل ربما للأقارب أيضاً، ما ينبغي هذا، فلا بد من خفض الجناح، كان رسول الله -ﷺ- كما ورد في

(٦٣) [سورة الشعراء: (٢١٥)].

الحديث الصـــحيح الذي يرويه الإمام أبو داود والحاكم عن جابر -رضي الله عنه- مرفوعاً: "كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يتخلف في المسير، فيزجي الضعيف، ويردف، ويدعو لهم"[٦٤].

كانوا في جيش وفي السفر، فإذا تقدموا إذا مشى الناس كان الرسول يتخلف إلى الوراء، يرجع إلى الأخير يتخلف إلى الوراء، وذلك ليرى من هو الضـــعيف، ومن هو المسـكين العاجز، من هو الذي ما عنده دابة تحمله، فيحمله الرسـول -صلى الله عليه وسلم-، (ويردف) ومن يحتاج إلى مساعدة، فيساعده -صلى الله عليه وسلم- بالعمل والدعاء؛ لأنه قال في الحديث: "كان يتخلف في المسـير، فيزجي الضـعيف، ويردف، يردف وراءه إخوانه المسـلمين يعينه يردفه وراءه على دابته رفقاً بهم وبحالتهم، ويدعو لهم".

فإن الله رفيق ويحب من الرفيق من عباده، نسأل الله -عز وجل- أن يهدينا لأحسن الأخلاق والأعمال ولا يهديها إلى أنت وأن يصرف عنها سيئها ولا يصرف عنا سيئها إلا أنت، وأســـأل الله لي ولكم الإخلاص في القول والعمل، وأن يجمعنا وإياكن على طاعته وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.



(٦٤) [رواه أبو داود: (٢٦٣٩)، والحاكم: (٢٥٤١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: (٢١٢٠)].